

والواقع أن كرومر كان يهتم بعقد هذه الصلات مع رجال الدين على وجه الخصوص لسبب آخر يضاف الى المبررات السابقة ، فهو يهدف الى ابعاد الشبهة عنه في تعصبه ضد الاسلام ، وهو يهدف بعد ذلك الى تمكين هؤلاء من عملية التطوير التي يمكن ان يقوموا بها حتى ينفسح المجال امام الحضارة الغربية لتثبيت اقدامها دون مقاومة . ولعله رأى ايضا ان السيد توفيق البكرى ورقة رابحة يمكن ان يلعب بها ضد الخديو في وقت من الأوقات . وهذا أكثر ما كان يفزع الخديو ، فهو لا ينسى أن كرومر هدده بالخلع منذ حين ، وهو يدرك أن « محمد عبده » لا يحظى بتأييد كل الهيئات الدينية كالأزهر مثلا ، من أجل محاولانه للتطوير ، ولكنه يدرك أيضا أن السيد توفيق البكرى يحظى بهذا التأييد ، ومن أجل هذا كان لابد أن يوقع بينهما مهما كلفه الأمر ، حين تسنح الفرصة . خاصة بعد أن ترامى اليه ما يتحدث به كرومر عن البكرى في مونسع الإعجاب الشديد بشخصيته « كان يقتبس في محادثتى عن حقوق الانسان آراء جان چاك روسو وذلك بلغة فرنساوية بليغة . ومتى جاء بالأراء الضعيفة بيانا لزايا الحكومة النيابية وسألنى ان اعيره بعض كتب ليستفيد منها (فلسفة الثورة الفرنسية) عند ذلك سألت نفسى عما اذا كنت فى يقظة أنا ام فى منام ، وكان هذا الشيخ المصرى الجامع بين مكة من جهة وباريس من جهة اخرى ، آخر ما انتجه الاسلام فى رقيه » (١) .

يقول العقاد :

« وكان على حذر دائم من الخديو عباس لأنه — فى ذكائه واطلاعه على ما وراء الستار ومصاحبته لعباس منذ أيام الدراسة — لا يجهد سياسة البيت العلوى من جميع البيوتات التى اشتركت قديما

(١) المؤيد ١٠ مارس ١٩٠٨ (كتاب كرومر) :